المحور الأول: نظريات ومفاهيم علم الاجتماع المخاطر.

المحاضرة الأولى: مجتمع المخاطر.

أولا-مفاهيم أساسية في علم الاجتماع المخاطر:

1- علم اجتماع المخاطر SociologyRisk:

علم الاجتماع المخاطر هو: ذلك العلم الذي يهتم بفهم وتفسير ظاهرة المخاطرة بأسبابها ونتائجها في السياق التاريخي والمجتمعي ككل، تفسيرا سوسيولوجيا، كما أنه معنى تحديدا بدراسة المخاطر الأخطار المنبعثة من عصر الحداثة وما بعدها، أي أنه يتناول بالدراسة المخاطر التي يعرفها عالمنا اليوم وأثرها على المجتمع الإنساني، ولقد ارتبط الفهم السوسيولوجي لمجتمع المخاطر بأولريش بيك Ulrich Beckالذي أصدر كتاب بعنوان مجتمع المخاطرة وكتاب مجتمع المخاطر العالمي: بحثا عن الأمان المفقود، ولقد أشار أولريش بيك أن ما كان مبالغا فيه قبل عشرين عاما أصبح أمر ا واقعا ومحسوسا، وأضاف أيضا أن المجتمع الصناعيً بدأ بالاندثار، مفسحا المجال لمجتمع جديد تسوده الفوضى، وتغيب فيه أنماط الحياة المستقرة، ومعايير السلوك الإرشادية، وأصبحت دالات المخاطرة اليوم شديدة الآنية والأهمية في لغات التقنية والاقتصاد والعلوم الطبيعية، وكذلك في لغة السياسة، كما يبرز في هذا المجال ايضا علماء اجتماع مثل الانجليزي أنتوني غدنز Anthony Guddens والألماني نيكلاس لومانNicklas Le Mans، والفرنسي دافيد لوبروتونDavid Lubroton.

2-مجتمع المخاطر RiskCommunity:

يعرف أولريش بيك مجتمع المخاطر بأنه: "حالة من توافق الظروف أصبحت فيها فكرة إمكانية التحكم في الآثار الجانبية والأخطار التي يفرضها اتخاذ القرارات محل شك، كما يعرف مجتمع المخاطرة بانه:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المجتمع الذي يشرف على الهلاك، وهذا بالذات ما يتوافق مع الوصف الذي قدمه "أولريش بيك " ULRICHBECKبأن وصفه من خلال الموقف الذي يمكن أن ينتج أقل قرار فيه أخطر كارثة.

ويعرفه عالم الاجتماع البريطاني أنتوني غدنز صاحب كتاب "الطريق الثالث "أضاف إلى مفهوم "مجتمع الخطر" معاني أخرى هامة هي أنه "المجتمع الذي تتزايد فيه الفجوة الطبقية بين الأغنياء والفقراء ووفقا لعلماء الاجتماع أنتوني غدنز، مجتمع خطر هو مجتمع متزايد مشغولة بالمستقبل وأيضا مع السلامة)، مما يولد فكرة الخطر،"بينما عالم الاجتماع الألماني أولريش بيك عرفه على انه بطريقة منهجية للتعامل مع المخاطر وانعدام الأمن الناجم ويتم عرضه من قبل الحداثة نفسها وذلك لان مجتمع المخاطر نظرية اجتماعية تصف إنتاج وإدارة المخاطر في المجتمع الحديث نفسها.

3- المخاطرةRisk:

يعرف أولريش بيك المخاطرة بأنها: التنبؤ بالكارثة أي هي إمكانية أن تطرأ احداث وتطورات مستقبلية وإذا ما تحققت تصبح إذن كارثة. فالمخاطرة حدث متنبأ بحدوثه أما الكارثة فهي حدث فعلي.

أما نيكلاس لومان فإنه: يعرف المخاطرةعلى أنها: أذى محتمل يخيف الفرد ويرتكز على قرار اتخذه بنفسه، إنها عملية حسابية تأخذ بالاعتبار الخسارة والفائدة المُحتملة بالاستناد الى الزمن.

كما يعرف أنتوني غدنز المخاطرة على أنها: تلك المجازفات التي يتم تقويمها فعليا في علاقتها بالاحتمالات المستقبلية. كما يقول إنها هي القوة الدافعة للمجتمع الذي يصر على التغير والذي يريد ان يحدد مستقبله ولا يتركه للدين او التقاليد أو لقوى الطبيعة، وهو أي جيدنز يرى أن المخاطر نوعان: مخاطر خارجية، وهي ما ارتبط بالتقاليد والطبيعة كالأوبئة والفيضانات والمجاعة والجفاف والبيئة، والتي تحدث خارج إرادة الانسان. مخاطر مصنعة (مخلقة)، هي التي يتدخل فيها الانسان بإرادته، و التي تنجم عن قصور و قلة خبرة الانسان.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

4- الخطر The danger:

يعرف نيكلاس لومان الخطر بأنه: الأذى المحتمل الذي يتعرض له الفرد بفعل مؤثرات خارجية، اي دون أن يتخذ الفرد نفسه قرارا بفعل كذا .

كما يعرف الخطر على أنه: حادث احتمالي غير مؤكد الوقوع، وعند وقوعه ينتج عنه نتائج غير مرغوبة للفرد أو للمجتمع بشكل عام، وأسبابه متعددة كالسرقة والحرائق والزلازل والبراكين والفيضانات والحروب وقد يكون متعمدا أو يكون بسبب الإهمال أوغيرها من الأسباب.

كما عرف الخطر على أنه: حالة من عدم التأكد أو الشك أو الخوف من وقوع حادث معين أو ظاهرة معينه يترتب عنها أضرار جسدية أو مادية أو معنوية، ويمثل الخطر ظاهرة عامة ترتبط ارتباطا وثيقا بحياة الإنسان اليومية وما يقوم به من مختلف الأنشطة، وينبع الخطر أساسا من حالة عدم التأكد والشك الذي يحيط الإنسان من كل جانب، ويرجع الشك وعدم التأكد إلى عدم القدرة على التنبؤ بالمستقبل، و عدم توفر المعلومات اللازمة للتنبؤ.

5- إدارة المخاطر Risk Management:

إدارة المخاطر عبارة عن: منهج أو مدخل علمي للتعامل مع المخاطر البحتة عن طريق توقع الخسارة أو الأثر المالي للخسائر التي تقع إلى حد أدنى.

كما تعرف إدارة المخاطر هي: " تنظيم متكامل يهدف إلى مجابهة المخاطر بأفضل الوسائل وأقل التكاليف وذلك عن التعريف الثالث: لتحقيق الهدف المطلوب .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانيا-مجتمع المخاطر RiskCommunity:

يرى أولريش بيك أن "مجتمع المخاطرة " قد ظهر مع منتصف القرن العشرين، وهو مجتمع ساخط على تبعات الحداثة السلبية، يبحث في كيفية إدارة المخاطر (Risk management) والأخطار بالوقاية والعلاج معا، و هو ما أوضحه في كتابه (مجتمع المخاطرة) الذي كتبه عام 1986، مشيرا إلى أن مجتمعات النصف الثاني من القرن العشرين باتت مرغمة على مواجهة سلبيات الحداثة، و إيجاد الحلول و البدائل المناسبة لمجابهة تحدياتها و إدارتها، و هو ما أسماه بـ " عقد المخاطرة " أي مدى القدرة على التحكم في التهديدات و الأخطار الناجمة عن الصناعة و القدرة على تعويضها ... غير أنه في كتابه الآخر الذي كتبه بعد عشرون سنة من ذلك، و هو كتاب (مجتمع المخاطر العالمي : بحثا عن الأمان المفقود) عام 2006، قد فرق فيه بين مجتمع المخاطرة و مجتمع المخاطر العالمي ، حيث هنا يظهر جليا أنه يتحدث عن "مجتمع عالمي " تنتشر فيه المخاطر و الأخطار في مختلف الأقطار، أو كما وصفها (المخاطر الطيارة)، أي التي تطير من مكان الى مكان آخر دون أن نقدر على مسكها و إخضاعها أو التحكم فيها ! لعبت فيها العولمة و انسيابية التدفق و تخطي الحدود القومية دورا بالغا في: عولمة المخاطر و الأخطار، و منه توسيع نطاق عدم الأمان المصطنع،

ليتدفق هذا الأمان المصطنع في حالة من السيلان، كما يقول عالم الاجتماع البولندي سيغموند بومانSigmund Bowman في كتابه "الحداثة السائلة"، ناقدا تلك الحالة من السيلان الاجتماعي والثقافي والسياسي والاقتصادي، التي وصل إليها عصرنا اليوم بفعل الحداثة المتأزمة، والتي جعلت كل شيء حولنا سائلا، بعدما كانت حداثة صلبة إشارة منه أن المخاطر و الاخطار التي كانت تدور في حدود الدولة القومية، قد سالت اليوم في عصر العولمة ليتعدى سيلانها حدوده، فيسيل الى مدى أبعد من ذلك فيصل إلى مناطق و أمكنة أخرى، كسيلان الإرهاب و الأضرار البيئية، ويمكن أن يكون نموذجا بارزا له كانفجار

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مفاعل "تشيرنوبل" في أوكرانيا في الاتحاد السوفيتي سابقا عام 1986 مثالا صارخا على ذلك، والذي أثار الرعب في العالم كله، بحكم انتشار مفاعلات ذرية شبيهة في عديد من البلادوغيرهما من المخاطر التي سيترتب عنها لا محالة سيلان الخوف ! ليتقطن العالم إلى صيحة عالم الاجتماع الألماني أولريش بيك وهو باحثا عن الأمان المفقود_

حيث يرى أولريش بيك مجتمع المخاطر بأنه "حالة من توافق الظروف، أصبحت فيها فكرة إمكانية التحكم في الآثار الجانبية والأخطار التي يفرضها اتخاذ القرارات محل شك "، وهنا نلاحظ أن المخاطرة مرتبطة باتخاذ القرار بشأن سلوك ما قد يحقق لنا: إما فرصة وإما خطرا. و مع تفاقم المخاطر و الأخطار مقابل الفرص فإن مجتمع المخاطرة بات يعيش حالة من عدم الأمان، و أيضا الشك و فقدان اليقين بخصوص إمكانيته و مقدرته على مواجهة تلك المخاطر (risks) و الأخطار، (dangers) و التحكم فيها مكانيا و زمنيا، و لهذا يتفق علماء المخاطرة على أن عالمنا اليوم يعيش حالة من فقدان اليقين العالمي، وهنا يفرق بيك بين المخاطرة و الكارثة، فالمخاطرة حسبه تعني التنبؤ بالكارثة، أي هي إمكانية أن تطرأ احداث و تطورات مستقبلية، و اذا ما تحققت تصبح إذن كارثة، فالمخاطرة حدث متنبأ بحدوثه، أما الكارثة فهي حدث فعلي.

كما يعرف أنتوني غدنز في كتابه عالم منفلت: كيف تعيد العولمة صياغة حياتنا المخاطرة على أنها: تلك المجازفات التي يتم تقويمها فعليا في علاقتها بالاحتمالات المستقبلية. كما يقول أنها هي القوة الدافعة للمجتمع الذي يصر على التغير، و الذي يريد أن يحدد مستقبله ولا يتركه للدين أو التقاليد أو لقوى، كما يرى غدنز أن عصرنا ليس اكثر خطورة من العصور السابقة، و لكنه شهد تحولا في توازن المخاطر و الاخطار، ما جعل المخاطر المخلقة التي نخلقها بأيدينا أشد خطرا و أثرا من المخاطر الخارجية، هذه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المخاطر المخلقة (المصنعة) جعلت النظرة ، لعصر الحداثة، بكل آلياته الاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية، قد انتهى بالعالم إلى عصر المخاطر «Risks»والأخطار «Dangers» بفضل العقل الحداثي.

و إنه من الأهمية بمكان، أن نوضح أن البحث في موضوع مجتمع المخاطر في الفترة المعاصرة، كان وليد ظروف مجتمعية و مشكلات جمة طفت على السطح على مختلف الاصعدة أهمها الصعيد البيئي، و كذا الصعيد الأمني و السياسي، و الاقتصادي، و الثقافي، و الاجتماعي ... و كل ذلك كان من مخلفات الحداثة، التي وجهت المؤسسة العلمية- التكنولوجية، و الاقتصادية نحو خدمة و تحقيق انتصاراتها، في الوقت الذي كان المجتمع يدفع ثمن تلك الانتصارات العلمية خاصة، فبدأت تظهر في الجهة المقابلة إخفاقات مقابل تلك الانتصارات ، تمثلت اكثر ما تمثلت في الدمار البيئي (إنسان - حيوان - أرض - هواء - مياه ..) في صورة دراماتيكية رسمت ملامحها سياسة التصنيع و التجارب النووية و الحروب الكيماوية و غيرها ، و هو الأمر الذي أثر بدوره على البعد الاجتماعي و الثقافي من جهة أخرى ، و ذلك من حيث انقطاع الرباط الاجتماعي، فباتت العلاقات الاجتماعية كما أوصفت "علاقات طيارة " ، فمن جهة هي تتشكل و تنتهي بسرعة بصورة تنذر بالخطر، و من جهة أخرى هي غير محدودة و ثابتة، و إنما تتمدد و تتطاير متحدية المكان و الزمان، بفضل تكنولوجيا الاتصالات الرقمية، خاصة تلك العلاقات "الافتراضية " و التي شكلت أخطارا على العلاقات الاجتماعية "الحقيقية "، إضافة الى أن توسع شبكة العلاقات الاجتماعية عبر الفضاءات الالكترونية، قد يحمل في طياته مخاطر توسع شبكة العلاقات " الإجرامية " .. وكذا تغذية صراعات ونزاعات أثنية وعرقية ذات بعد ثقافي –ديني، مما قد يترتب عنه أيضا مخاطر وأخطار أخرى عالمية على صعيد آخر.

و هكذا تتنوع المخاطر و الأخطار التي يعكف علم اجتماع المخاطر على دراستها، لتشمل مخاطر الدمار البيئي مثل تلوث الهواء و البحار ، الغازات الدفيئة و الاحتباس الحراري و ثقب الأوزون ، و الأمطار

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحمضية و الزراعة الوراثية ، و تناقص الثروات الباطنية و المياه الجوفية ، تقلص المساحات الغابية و الثروة السمكية، إضافة الى مخاطر التجارب النووية و تخصيب اليورانيوم و أسلحة الدمار الشامل و الحروب الكيماوية، و الأوبئة الفتاكة مثل انفلونزا الخنازير و الطيور و جنون البقر و الإيدز، الى جانب الاستنساخ و الانتقاء الجيني مختلف التكنولوجيا الحيوية ، كما هناك مخاطر متعلقة بالأمن القومي و العالمي مثل التطرف الايديولوجي و الإرهاب الدولي ، النزاعات الاثنية بين الطوائف و الاقليات، والصراع العرقي و الجندي، إضافة الى تهجين الهويات، النزعة الفردانية وانقطاع الرباط الاجتماعي، والمشكلات الاقتصادية مثل الأزمات المالية العالمية، أزمات البترول و غيرها من المخاطر التي شهدها العالم مؤخرا، والتي أثرت لا محالة على المجتمع الإنساني أفراد و جماعات، حيث تراكمت و اتسعت إلى أن طفت على السطح منذرة بمستقبل كارثي، يهدد أمن أغنياء العالم و فقراءه دون استثناء

الأمر الذي يتطلب إدارة هذه المخاطر ، والتي تتطلب بدورها ممارسة الانعكاسية، بما تعنيه من إعادة التفكير وتقليب وجوه الرأي على من المستوى الفردي والمستوى المؤسسي، وهذا يعني أننا نقوم بصورة مستمرة بأنشاء دعائم شبكاتنا الاجتماعية، وإعادة إنشائها وتجديدها والحفاظ عليها، وفي الماضي كان يوجد ما أسماه جيدنز "اليقينيات الأنطولوجية (الوجودية)، وهي المجتمع المحلي والحياة العائلية والزواج والعمل، وهي المجالات التي كان يتم تعريفنا بواسطتها، الا أنها لم تعد توجد بأي معنى ثابت أو دائم، وليس لدينا الأن معرفة أوفهم واضع لمعاني هذه الجانب من حياتنا. لذلك فإننا نصنع أو نصوغ أنفسنا ونعيد صياغتها حتى نتغلب على مشكلات التغير المتواصل.

إن" الانعكاسية " هو الاسم الذي أعطاه غدنز للبحث عن الأمان الانطولوجي بسبب غياب المعالم التقليدية، التي ساعدتنا في الماضي على تعريف أنفسنا وتحديد موقعنا داخل سياق ثقافي معين. ورغم وجود عناصر من الحقيقية البديهية في فكرة مجتمع المخاطر، الا أنه يمكننا جميعا أن نفهمها على كل من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المستوى الفردي والمستوى المجتمعي، فلابد من التساؤل عما إذا كان هذا المجتمع ظاهرة جديدة من عدمه؟ اذ أن من السهل وصف المجتمعات الماضية بأنها كانت أكثر خطورة، وتتأكد هذه الحقيقة على وجه الخصوص فيما يتصل بالصحة، كما تدلنا على ذلك أي مراجعة لإحصائيات أمد الحياة المتوقع. وهل المخاطر بنفس الضخامة التي يميل بعض المعلقين لأن يجعلونا نعتقد بها؟، وهل الاطفال في الماضي حين كانوا يلعبون خارج بيوتهم في الشارع أو في الحدائق العامة؟، هل كانوا معرضين لخطورة أكثر مما يتعرضون له حاليا؟ أم هل يعد إبراز هذه الخطورة على هذا النحو تصورا تسببت وسائل الاتصال في غرسه في العقول؟، إن بالإمكان الانتفاع بالنظرية الاجتماعية كأداة في هذا السياق، لتقديم منحى نقدي لفهم هذه الجوانب من حياتنا اليومية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner